الاحلام

أأسرار ام اضغاث

لي كلمة في الاحلام لا اقصد منها سدّ فراغ او فائدة تتضمنها المقالات عادة وانما اريد تسجيلها لعلّ فيها فائدة لفريق العلماء الباحثين في الاحلام الذين يظنون ان فيها سرًّا لم يوفَّق الى حلهِ حتى الآن وانها ليست مجرد اضغاث تجيء وتروح اعتباطاً . وما اقولهُ فيها سيبقى صحيحاً لا ريب فيهِ واذا طُلب مني اقسمت اغلظ الايمان بانهُ الحقّ كلهُ غير مدخول فيهِ ولا مشوب بشائبة

وقبل طرق هذا الموضوع اقول اني مجبول من خلقتي على الافراط في الشك لا اصدق الاّ ما وقع تحت حسي او ما ادخلهُ التواتر في حكم المحسوس الملموس . واكاد لولا ضحك الناس ارتاب في صدق التاريخ الماضي حتى في وجود كبار اعلامهِ الذين لا يرتاب عاقل في وجودهم كيوليوس قيصر وشارلمان ونابليون مثلاً . واكاد ارتاب ايضاً في وجود الاعلام المشهورة في زماننا اشخاصاً كانت ام امكنة . وان كان قد خطر ببالي زيارة اوربا مثلاً فلأتأكد وجودها ووجود ما يسمونهُ لندن وباريس وبرلين الخ

ليفهمني القارئ . اني لا اكذّب وجود هذه الاشياء بل اصدق انها موجودة ولكن مع هذا التصديق يتردد في صدري دائماً شبه شك في وجودها حتى لو قال قائل يوماً ان باريس غير موجودة الآن ولا وجدت في زمن من الازمان كنت اول من يصدق قولهُ

كذلك ارتاب في هذا الوجود كلهِ واحسبهُ حلماً ربما كان اطول مدة من الاحلام التي نراها . اقول ربما لانهُ كثيراً ما يخيّم الواحد منا انهُ ولد وتزوج وشاب ومرت بهِ الحوادث صغارها وكبارها ثم مات بعد عمر يخيل اليهِ انهُ طويل وقد لا تجاوز مدة الحلم بضع دقائق . فلمَ لا يكون هذا العمر حلماً كتلك الاحلام ؟ وما الذي يميزهُ عن الحلم ؟ هل يميزه الشعور ؟ كلاّ فانا نشعر في احلامنا بريّ بعد عطش وشبع بعد جوع وراحة بعد تعب وان يكن هذا الشعور اضعف في الحلم منهُ في اليقظة

والريب في هذا الوجود ليس ناشئاً عن مرض في صاحبهِ ولا هو مقصور عليهِ بل هو ضرب من الفلسفة كما تملك فيها بعدُ انهُ اتباع وانصار . ولكن وجودهُ فيّ قبل علمي بهِ يخرجني من مصاف الفلاسفة والمتفلسفين

وجل هذا حالهُ لا تجد الاحلام واضغاثها منتجاً طبياً في صدرهِ ما دامت الحقائق

الملوسة لا تجد ذلك المنجم منهُ . فاذا صدّق بوجود علاقة بين الحلم واليقظة فما ذلك الاَّ لان تلك العلاقة ثبتت لهُ ثبوتاً لا يأتيهِ الريب من خلفهِ ولا من امامهِ

اما رجائي في ان يكون ما سأثبتهُ في هذا الباب ذا فائدة في ابحاث الباحثين فمبنيٌّ على طول استقرائي للاحلام مدة عشرين سنة وحفظي للاحلام المهمة التي انبأت بالحوادث قبل وقوعها وتتبعها واحداً واحداً لتبع رجل بهمهُ اكتشاف ما في هذا الوجود من الاسرار للوقوف على كنههِ وماهية امرهِ . فلا يفيد الطبيب في ادراك ماهية مرض ما واعراضهِ وسيرهِ مثل وقوعهِ هو نفسهِ تحت مخالب ذلك المرض

ومعلوم ان كثيرين من الناس لا يحلمون او يحلمون قليلاً . والمرجح انهم يحلمون كغيرهم ولكنهم لا يتذكرون احلامهم او لا يتذكرون منها الاَّ ما هاج فيهم شهوة من الشهوات كالغضب او الغم او الخوف وليس ببعيد مع ذلك ان يكون بعض الناس قد خصوا برؤية الرؤى والاحلام دون البعض فلا انذروا بالحوادث بناء عليها نظمهم الاقدمون في سلك النبيين

ومن رأي بعض الباحثين ان ليس في الاحلام انذار ولا إنباء وانا نحلم احلاماً مبهمة في نومنا فاذا حدثت في يقظتنا حوادث تشبه تلك الاحلام المبهمة الحدود تذكرنا حينئذٍ اننا حلمنا شيئاً بهذا المعنى فقلنا ان الحلم جاء منذراً بهذه الحادثة او تلك مع ضعف وجه الشبه بين الطرفين . واذا لم تحدث تلك الحادثة لم نتذكر الحلم . وعندهم ان افضل محكٍّ للاحلام ان يكتب الحالم عند يقظتهِ ما حلمهُ او يقصهُ على نفر من الشهود العدْل فاذا حدثت بعد ذلك حوادث مثل التي رآها في حلمهِ كان ذلك من قبيل وقوع الحوادث بعد الاحلام او من قبيل انباء الاحلام بحوادث مستقبلة

وبعد هذا البيان اكتفي في هذه المقالة بسرد الاحلام التي انبأت بحوادث جرت لي ولاهل بيتي . ولا بدَّ من القول اعترافاً بالحقيقة اني لم آخذ مذكرة بحلم واحد بعد يقظتي ولكن يرى القارئ من تفصيل ما جرى لي ان فيما فعلت غنًى عن الكتابة

الحلم الاول

في الثالث من شهر يونيو سنة ١٨٩٩ تناولت جريدة لسان الحال من جرائد بيروت وكنت في هذه العاصمة فقرأت فيها نعيَ شاب هو شقيق صديق لي توفي في مدرسة بيروت الكلية بالحمى التيفوئيدية . فاسفت لذلك وتحول اسفي جزعاً من وجود شقيقي تلميذاً فيها . وفي الليل حلمت ان شقيقي توفي ولكنني قلت في نفسي ان ذلك من اضغاث الاحلام فلم احفل بالحلم ولا اعرتهُ اهتماماً ثم اخذ اثرهُ يزول من نفسي حتى جاءني نعيُ شقيقي في الحادي

والعشرين من ذلك الشهر فتذكرت الحلم بعض التذكر ثم محا ذلك البعض عظم جزعي من فقد شقيقي . فلما اخذ ذلك الجزع يركد على مرّ الايام اخذ ذلك الحلم يعود الى مخيلتي وكان اول حلم احللتهُ محلّ عنايتي لما رأيت من ملاءمته بحادثة واضحة اتت بعدهُ

الحلم الثاني

حلمت والدتي قبل سماعها عن مرض شقيقي بيوم انها فقدت احدى عينيها . وفي الصباح قصصت الحلم على شقيقتي مشائمة ولم يكد ذلك اليوم ينتصف حتى جاءها تلغراف من المدرسة بمرضهِ وبين المكانين مسافة ٢٠ ميلاً

الحلم الثالث

ابطأت اخبار حيّ على قريبتي في اوائل دسمبر سنة ١٩١٢ حلمت انها رأت جملاً وذهباً وهي امور توجب التطيّر في عرف اهل الاحلام . وحلمت انا في الليلة نفسها ان شقيقتها طرقت الباب علينا وهي لابسة ملابس الحداد فلما تلاقتا بكينا وانتحبنا . قالت قريبتي هل مات ؟ فاجابتها شقيقتها بالعويل والبكاء

وفي الصباح قصّ كلٌّ منا حلمهُ على الآخر . وكان ذلك الصباح صباح يوم الخميس في ٥ دسمبر فوزع بريد الشام وليس فيهِ شيءٌ لنا فانتظرنا البريد التالي على احرّ من الجمر . وفي صباح الخميس ١٢ دسمبر قصدت مكان عملي وجلست انتظر البريد . ونحو الساعة ٨½ صباحاً اقبل الغلام فرأيتهُ من بعيد يحمل كتاباً اسود فايقنت انهُ نعيّ حيّ واذا الامر كذلك

الحلم الرابع

حلمت صباح يوم الخميس في ٤ مارس سنة ١٩١٥ ان ثلاثة اطباء دعوا لعيادة مريض في منزل يناوح منزلنا وبعد المشاورة نزلوا لتشييعهم ممرضة . ولم اعلم نتيجة عيادتهم . وفي الصباح قصصت الحلم على اهل بيتي فلم يبدوا فيهِ رأياً . وفي المساء قيل لي ان جارنا فلاناً (ولا حاجة ان اسميهُ باسمهِ الا اذا اقتضى الامر) اصيب بخفقان وهو يجري وراء الترام فخارت قواهُ وركب مركبة الى منزلهِ فاصعدوهُ على الدرج محمولاً من فرط اعيائهِ . فذهبت لاراهُ وبينما انا هناك عاده ثلاثة اطباء من معارفي . وفي الصباح التالي توفي

الحلم الخامس

حلمت شقيقتي في اوائل نوفمبر سنة ١٩١٥ ان شيخاً طاعناً في السنّ زارنا في منزلنا (وهو ميت منذ ٢٠ سنة) فهيأت لهُ القهوة وجاءت بفنجانين فوجدتهُ نائماً فقلت لما عودي بالقهوة من حيث اتيت ولا تقدميها اليهِ ففعلت

الحلم السادس

حلمت في الاسبوع الواقع بين ١ و ٧ نوفمبر سنة ١٩١٥ ان ابنتي الكبرى وعمرها ٣ سنوات وشهران في مكان عميق وحدها فلما رأيتها على تلك الحال قلت لاختها ربيبتي وعمرها ١١ سنة انزلي وانقذي اختك لانك اخفّ مني خطوة فنزلت ثم انتهى الحلم بذلك . وفي ١٤ نوفمبر مرضت ابنتي فسار مرضها سيراً طبيعيًّا على ما ظهر لنا ولطبيبها ولكن قلقي كان يشتد عليها يوماً فيوماً وكنت ارى حالها تسوء والطبيب يرى غير ذلك مع اني كنت اشرح لهُ كلّ ما كان يعتريها في غيابهِ واذكر لهُ مفصلاً سرعة نبضها ودرجة حرارتها وما كان يعتريها في الليل من الغيبوبة . وفقدها النطق قبل وفاتها باربعة ايام . وفي ظهر الثلاثاء ٢٣ نوفمبر عادها وبالغ في تطييب قلوبنا وقال لا حاجة بكم الى دعوتي بعد الآن بل احضروا لها هذا المقوي ولتشرب منهُ . فلما جلسنا للغداء انا وامها اكلنا بقابلية بعد صيامنا اسبوعاً لم نأكل في خلالهِ الاّ ما تبلغ بهِ . فقلت لها ما أقصّ عليك هذا الحلم الذي رأيتهُ من نحو اسبوعين وكنت امتنع عن ذلك قبل الآن خشية تشاؤمك فقصصتهُ عليها . وفي الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم دخلت ابنتي في دور النزع وتوفيت بعد ظهر اليوم التالي

الحلم السابع

حلمت قريبتي ليلة مرض ابنتنا انها فقدت ساعتها وسلسلتها ثم وجدتها ولكن الساعة كانت مكسورة وقطعة من زجاجها مفقودة . ولم تعلم هل وجدت هذه القطعة ام لم تجدها . ولكنها كانت تحاول اقناع نفسها مدة مرض ابنتنا بانها وجدت القطعة خشية ان يكون فقد القطعة شؤماً علينا

***

وعندي ان الاحلام اسرار لا تزال محجوبة عن عقل العارفين وليست اضغاثاً . ولا بد ان نهتدي الى حلّ رموزها واماطة الحجاب عنها على سرّ الزمان . اما ان كان بعض الناس مخلصًّا بها دون البعض الآخر فما لا قبل لي بمعرفته فلا ابدي فيهِ رأياً . وقد يكفي ان يصح حلم واحد للبرهان على وجود علاقة بين الاحلام وماجريات هذا الكون . اي يكفي ان يثبت ان حادثة معينة انبأ بها الحلم بكل تفاصيلها إنباء لا مشاحة فيهِ ليثبت ان بين الاحلام والحوادث الجارية علاقة ما وان تكن مجهولة السبب . وكل يوم تكشف لنا اسرار ما كان اسلافنا ليحلموا بكشفها فلماذا لا تكون الاحلام احدها ؟ . وعسى ان تكون اولها

ن . ش